الربان العربي

أحمد بن ماجد

ومؤلفاته

الأستاذ إبراهيم خوري

تدرّب أحمد بن ماجد على الملاحة في سنّ مبكرة في سفينة جده الأول محمد ، ثم في سفينة والده ماجد ، ربّان البرين ، بر العرب وبر الهند ، وناظم الألفية الحجازية في علم البحر . فأفاد كثيراً من خبرتهما الطويلة ، وأضاف إليها خبرته الشخصية . فتفتقت عبقريته الفذّة ، وارتقى بسرعة من ملاح عادي إلى ربّان ماهر ، فمعلّم ، فمعلم مصنِّف ، يرجع إليه الربابنة ليحلّ لهم معضلاتهم الملاحية في ندواتهم البحرية التي كانت تُسمّى « حَلَقَات » ، وتُعْقَد في البنادر . وقد تبوّأ هذه المكانة الرفيعة طوال نصف قرن أمضاه في إجراء السفن بين مرافئ المحيط الهندي .

واكتسبت تصانيفه شهرة واسعة في أوساط أهل البحر العرب وغير العرب . فَنَثَرَها المعلّم العربي سليمان المهري قبل أن يمرّ نصف قرن على وفاة ابن ماجد .

واقتنى نسخاً منها ربابنة بحر الهند العرب . ووصل خبر انتشارها على السفن العربية إلى فاسكوداغاما ، فكان يتعقَّب تلك السفن ليسطو على حمولتها وعلى مخطوطاتها الملاحية بآن واحد . وقد أثبتت الوثائق البرتغالية المكتوبة المطبوعة أنه استولى على نسخة منها سنة ١٤٩٧م/٩٠٣هـ ، وبعث بها إلى الملك مانويل ، عاهل البرتغال . وكان ربابنة جزر الملديف يستعملون نسخاً مترجمة عنها ، يسمونها « ماجد كتابي » ، على حد قول جيمس برنسب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد ترجمت مصنفات ابن ماجد إلى لغة الاردو ، حسب الدكتور رانا إحسان إلهي ، رئيس القسم العربي بجامعة بنجاب لاهور (باكستان) . ونقل بعضها أمير البحر التركي علي بن الحسين إلى اللغة التركية العثمانية سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٤م ، أي بعد مرور نصف قرن على وفاة ابن ماجد ، لاعتقاده باستحالة إجراء السفن في بحر الهند بسلام دون معرفة مبادئه البحرية . وفي النصف الثاني من القرن العشرين ترجمت : حاوية الاختصار في أصول علم البحار ، والسفالية ، وكتاب الفوائد إلى اللغة الانكيزية ، وثلاث قصائد من منظوماته إلى اللغتين الروسية والبرتغالية .

وهكذا نرى أن أحمد بن ماجد نبغ في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي . فاهتم به أقرانه من أهل البحر في حياته ، وبعد وفاته على مدى خمسين سنة ، وتداولوا تصانيفه ، واهتدوا بها مدة أطول بكثير .

فمَنْ هو هذا المعلم المصنِّف وما هي مصنّفاته ؟ وما هو مضمونها ؟

أولاً – التعريف بابن ماجد

أحمد بن ماجد معلم بحر عربي بارع ، أجداده يمنيون من نجد اليمن ، وعدنانيون ينتمون إلى قبيلة بني سعد بن قيس عيلان ، تحضّروا منذ أمد بعيد ، وكانوا حضراً في أيام جده التاسع ، أبي الركائب ، ويمتهنون الجِمَالة ، أي نقل السلع والتجار والحجاج إلى مكة على ظهور الإبل . وقد تبيّن أن محمداً جد ابن ماجد الأول ، وماجداً والد ابن ماجد ، تخلّيا عن الجِمَالة والنقل البري بالقوافل ، وتعاطيا النقل البحري بالسفن ، وأصبحا معلمين ماهرين شهيرين بالملاحة في بحر القلزم وبحر عمان والخليج .

واسمه الكامل حتى جده التاسع : أحمد بن ماجد بن محمد بن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عمر بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن أبي معلق بن أبي الركائب . ومِعْلق ، بكسر الميم ، قدح ضخم ، يصنع من جلد الإبل يُملأ بالماء أو الحليب للشرب ، ويُعلق على ظهر الراحلة عند قطع القوافل الفيافي . والركائب جمع رِكاب ، بكسر الراء ، وهي الإبل التي يُؤْتَى عليها بالطعام أو تسافر إلى مكة ، أي تُؤَجَّر بكراء ليحمل عليها متاع التجار . وتمثّل هاتان الكنيتان قرينتين قاطعتين تشيران إلى مهنة أجداد ابن ماجد وتعاطيهما النقل البري والتجار .

شُهر أحمد بن ماجد بأبيه : ابن ماجد ، أو بجده التاسع : ابن أبي الركائب . وله ألقاب كثيرة ، بعضها دينية ، مثل الشهاب ، وشهاب الدين ، وحاج الحرمين الشريفين ، وبعضها علمية مثل رابع الثلاثة (محمد بن شاذان ، وسهل بن أبان ، وليث بن كهلان ، وهم أشهر معالمة بحر الهند) ، والرئيس المقدم ، ورئيس علم البحر ، وأستاذ فن البحر ، والمعلم ، والمعلم أسد البحر الزخّار ، والمعلم المُصنِّف ، وربّان الجهازين : آلة اليد (الخشبة أو الحطبة) والاسطرلاب .

واختُلِفَ في انتمائه الأرضي ردحاً من الزمن . فأراده باحثو المملكة العربية السعودية لهم . وأكّد مفكرو سلطنة عمان أنه منهم اعتماداً على قول أنور عبد العليم في كتابه « ابن ماجد الملاح » . ورأى غيرهم أنه يمني من صعدة في الجمهورية العربية اليمنية . وتحقّق علي بن الحسين ، أمير البحر التركي أن أحمد بن ماجد جلفاريّ من امارة رأس الخيمة ، على حدٍّ ما جاء في كتابه « المحيط » .

وأغفلت جميع كتب التراجم العربية المطبوعة والمخطوطة المعروفة ذكر أحمد بن ماجد . ولم يرد اسمه إلا في « العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية » لسليمان المهري ، وفي كتاب « غزوات الجراكسة الأتراك في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

جنوب الجزيرة » المسمى « البرق اليماني في الفتح العثماني » تأليف قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م) المعروف بميوله التركية وصلاته الوثيقة بالعثمانيين ، الذي اتهم ابن ماجد ، ظلماً ، بارشاد فاسكوداغاما ، وفي كتاب « المحيط » لعلي بن الحسين ، المكتوب باللغة التركية العثمانية .

ولم تتحدث الكتب الثلاثة السابقة لا عن تاريخ ميلاده ولا عن حياته ولا عن سنة وفاته . مع ذلك استطعنا أن نستخلص الشيء الكثير عن هذه النواحي من نصوص مؤلفاته .

١ ـ فعلمنا منها أن ابن ماجد ولد في الربع الأول من القرن التاسع الهجري ، وفي سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م على وجه التقريب .

فهو يقول في البيت التاسع من القصيدة الذهبية التي نظمها سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م :

ومن بات يرعاهنّ خمسين حجة على طلب عاف الكرى في الغياهب

ويعني هذا البيت أنه أخذ يراقب النجوم مراقبة فلكية ، ويقيسها منذ خمسين سنة أي منذ عام ٨٤٥هـ (٨٩٥ـ٥٠=٨٤٥هـ) . ويقتضي مثل هذا العمل تمييز النجوم بعضها عن بعض ومعرفة أماكن طلوعها وغروبها ومدة ظهورها واتقان استعمال آلات قياسها . ويؤكد على خبرة الخمسين سنة في البيت ١٥١ من القصيدة المكية (تاريخها ٨٩٥هـ) وفي الصفحة ٢٠٢ من مختصر كتاب الفوائد (تاريخه ٨٩٥هـ) .

إذن كان أحمد بن ماجد يُجري السفن مهتدياً بالنجوم منذ عام ٨٤٥هـ ، ويتحمل مسؤولية نقل الأرواح والسلع في عرض البحر ، وهذه مهام لا يتولاها الأحداث بل رجال ناضجون قديرون يوحون الثقة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فلو فرضنا أنه نزل إلى البحر في نحو الخامسة عشرة من عمره ، عندما توفّرت له قوة جسدية كافية ليقوم ببعض الأعمال اليدوية الثقيلة ، وقوة إدراك عقلية ليتفهم شؤون البحر والفلك الملاحي ويحفظها . واعتبرنا أن تدريبه وبلوغ خبرته مستوى خبرة المعلم الماهر لم يستغرقا سوى خمسة أعوام ، لتبين لنا أنه ولد سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م (٨٤٥-١٥-٥=٨٢٥هـ) ، وأن عمره كان ٧٥ سنة في عام ٩٠٠هـ (٩٠٠-٨٢٥=٧٥) .

٢ – وعرفنا من النصوص أيضاً أن ابن ماجد عمّر طويلاً ، حيث قال في مطلع ضريبة الضرائب المنظومة عام ٩٠٠هـ/١٤٩٤م :

شباب برأسي أعجب الناس من أمري أتاني عقوب الشيب في آخر العمر
وأي شباب بعد ستين حجة سما في السما فوق السماكين والنسر

وقال في البيت ٢٠٣ من قصيدته قسمة الجمة على أنجم بنات نعش ، المنظومة عام ٩٠٠هـ أيضاً :

لأنني قد كنتُ أيام الصبا هممت فيها فأتتني أشيبا

والأشيب الأبيض الرأس . إذن لم يعد في رأسه شعرة واحدة سوداء . وهذه قرينة واضحة على طعنه في السن . ويبدو أنه كان يشعر بدنوّ أجله ، فقال في الشطر الثاني من البيت ٢١٤ من قصيدة الجمة : « خوفي أموت قبل أن تحررا » . وعبّر عن الفكرة ذاتها في البيت ٤٣ من ضريبة الضرائب :

وزدهنّ بالتجريب مهما استطعته مخافتنا ان لا يساعدنا عمري

فلا شك أنه كان يعيش تحت رهبة الموت في آخر القرن التاسع الهجري .

٣ – وتوحي نصوص ابن ماجد أنه امتنع عن تحمل المسؤوليات الملاحية واجراء السفن منذ سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م . وهو القائل في البيت ١٥١ من القصيدة المكية :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وصفتُ لكم تجريب خمسين حجة فشيّبن قلبي لا تقل شاب ظاهري

فالقلب هنا العقل ، إذ جاء في لسان العرب ، يقال : ما قلبك معك ، وأين ذهب قلبك ؟ أي عقلك . والظاهر : الرأسُ ، من ظاهر كل شيء أعلاه ، وظاهر الإنسان : رأسه . ونميل نحن إلى الاعتقاد بان ابن ماجد قصد أن رأسه شاب وقوة التمييز ضعفت عنده لأن خمسين سنة من العمل في البحر والملاحة أنهكت قواه الجسدية والعقلية معاً[1] .

مع ذلك نظم قصيدته المخمسة سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م ، ولم يأت بشيء جديد فيها ، ولم يخلّف نظماً بعدها . وبذا يكون قد عمّر إحدى وثمانين سنة هجرية أو ٧٩ سنة ميلادية .

* * *

أخيراً ، لا بد من الإشارة إلى ثقافة ابن ماجد الواسعة الرفيعة .

١ – فهو ضليع في اللغة العربية ، استطاع بسهولة فائقة أن يعبّر بالفصحى عن فن الملاحة وعلمها ، وأن يغنيها بمصطلحات جديدة . لكننا نأسف لأن النسّاخ شوّهوا نثره وشعره الملاحيين ، فظهر في نظمه على وجه التخصيص كثير من الخلل ، نعزوه نحن إلى جهل ناقلي مخطوطاته الذين يرجح أنهم كانوا يصورون تصويراً ما يستعصي عليهم فهمه ، وما أكثره !

٢ – وثبت أنه يعرف أكثر من لغة أجنبية خاصة لغة الشول على الساحل الشرقي لهضبة الدكن ، ولغة ساحل افريقية الشرقية الزنجية . وفي ذلك يقول :

قد راح عمري في المطالعات وكثرة التسآل في الجهات
وكم رأيتُ في قطوط الشول ونظمه والنثر والفصول

[(١) هذا التفسير فيه لقائل مقال/المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكم نظرت في حساب العرب وحسبةٍ للهند مذ كنت صبي
لم أر شيئاً في اتفاق الاصل في القُمْر والزنج صحيح النقل

٣ – ومعارفه الجغرافية وافرة ودقيقة تتفوق على معارف الجغرافيين العرب والعجم بالنسبة إلى سواحل بحر الهند وجزره في الخليج وبحر القلزم وبحر عمان وخليج البنغال واندونيسية وافريقية الشرقية .

٤ – وتضاهي معلوماته الفلكية معلومات الفلكيين ، وتزيد عليها تطبيق الفلك في الملاحة ، ومعرفة أسماء الكواكب العربية والأسماء المنقولة عن اليونانية وبعض الأسماء الفارسية .

ونحن واثقون أن اكتشاف مخطوطات جديدة لتصانيفه سوف يلقي أضواء مذهلة على علمه وعلى شخصيته الفذة . فما هي هذه التصانيف ؟

ثانياً – تصانيف ابن ماجد

بدأ أحمد بن ماجد بكتابة ملاحته الفلكية في الأربعين من عمره بنظم « القافية في معرفة المجهولات من النجوم » (٨٦٥هـ/١٤٦٠م) . وختم تآليفه في سنة وفاته في الاحدى والثمانين من عمره بنظم المخمسة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) . فاستمر تدوين معارفه الملاحية بلا انقطاع طوال ٤١ سنة هجرية أو ٤٠ سنة ميلادية .

ولو تأملنا في حصيلة انتاجه الملاحي الفلكي ، وتقيّدنا بمعنى لفظ « التصنيف » اللغوي أي « الكتاب المؤلف » ، لوجدنا أنه حبّر ثلاثة تصانيف فقط ، هي :

١ – حاوية الاختصار في أصول علم البحار (٨٦٦هـ/١٤٦٢م) .

٢ – مطوّل كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٨٨٠هـ/١٤٧٥م) .

٣ ـ مختصر كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد (٨٩٥هـ/١٤٨٩م) .

إلا أن هذا القول ، رغم صحته ظاهرياً ، يخفي الحقيقة : فابن ماجد مكثر في نظم القصائد والأراجيز الملاحية ، ولم يستطع أحد حتى الآن أن يحدد عدد أعماله لا بدقة ولا بالتقريب . وبلغ المعروف منها الستة والأربعين عملاً ، ظهرت على ثلاث مراحل ، على الوجه التالي :

أعمال المرحلة الأولى : ٨٦٥هـ/١٤٦٠م ـ ٨٨٠هـ/١٤٧٥م

شملت أعمال المرحلة الأولى ما يلي :

١ ـ القصيدة القافية في معرفة المجهولات من النجوم (٨٦٥هـ/١٤٦٠م) .

٢ ـ حاوية الاختصار في أصول علم البحار (٨٦٦هـ/١٤٦٢م) وهي أهم وأشمل ما كتبه ابن ماجد شعراً ونثراً . وتتضمن جميع مبادئ علم البحر في القرن التاسع الهجري . وقد ترجمتُها إلى الانكليزية .

٣ ـ كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، النسخة الأولى المطولة (٨٨٠هـ/١٤٧٥م) .

يضاف إلى هذه الأعمال الثلاثة قصائد وأراجيز كثيرة نظمت بين سنة ٨٦٥هـ و ٨٨٠هـ صرّح عنها ابن ماجد نفسه دون أن يسميها .

أعمال المرحلة الثانية : ٨٨٠هـ/١٤٧٥م ـ ٨٩٥هـ/١٤٨٩م

وضمت أعمال المرحلة الثانية ما يلي :

١ ـ الأرجوزة السبعية (٨٨٨هـ/١٤٨٣م) .

٢ ـ الأرجوزة المعربة (٨٩٠هـ/١٤٨٥م) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٣ – أرجوزة تصنيف قبلة الإسلام في جميع الدنيا أو تحفة القضاة (٨٩٣هـ/١٤٨٧م) .

٤ – مختصر كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد (٨٩٥هـ/١٤٨٩م) .

٥ – الأرجوزة السفالية : تاريخها قبل عام ٨٩٥هـ وحتى قبل ٨٨٠هـ ، لأنها مذكورة في البيت ١٦٢ من الذهبية .

٦ – الأرجوزة الهادية : تاريخها قبل ٨٩٥هـ ، لأنها مذكورة في مختصر كتاب الفوائد ، ص٢٥١ .

٧ – القصيدة المكية : تاريخها قبل ٨٩٥هـ ، قياساً على مختصر كتاب الفوائد لأنها نظمت في عام تأليفه .

٨ – قصيدة نادرة الابدال في الواقع وذبّان العيّوق : تاريخها قبل ٨٩٥هـ ، لذكرها في البيتين ٣٦ و٩٣ من القصيدة المكية .

٩ – قصيدة كنز المعالمة وذخيرتهم في علم المجهولات في البحر والنجوم والبروج وأسمائها وأقطابها : تاريخها قبل ٨٩٥هـ لذكرها تلميحاً في البيت ١٧٨ من الذهبية .

١٠ – قصيدة ميمية الابدال تقاس على ستة أوجه : تاريخها قبل ٨٩٥هـ لذكرها في البيت ١٦٥ من القصيدة المكية وفي الصفحة ٢١٣ من مختصر كتاب الفوائد .

١١ – القصيدة الفايقة في قياس الضفدع الأول وقيده سهيل : تاريخها قبل عام ٨٩٥هـ ، لذكرها في البيت ٦٥ من القصيدة المكية وفي ص٣٦ ، ٥٣ ، ٩٨ ، ١٣٦ ، ٢١١ من مختصر كتاب الفوائد .

١٢ – قصيدة عدة الأشهر الرومية وكل شهركم هو :تاريخها قبل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨٩٥هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد .

١٣ – قصيدة مواسم السفر : تاريخها قبل ٨٩٥هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ص٣٣٩ .

١٤ –أرجوزة الأرباع : تاريخها قبل ٨٩٥هـ ، لذكرها في البيت ١٦٠ من الذهبية .

١٥ – أرجوزة قياس التير والسلبار : تاريخها قبل ٨٩٥هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ص٣٦ ، ١١٩ ، ١٥٩ ، ٢٠٩ .

١٦ – أرجوزة قياس المربعين الأوسطين : تاريخها قبل ٨٩٥هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ص٧١ ، ٧٢ .

١٧ – القصيدة الذهبية ، النسخة الأولى : تاريخها عام ٨٨٠هـ . لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ص٥٧ ، ٧٠ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٤١ ، ١٧٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٥ ، ٢٣٥ .

١٨ – القصيدة الذهبية ، النسخة الثانية : تاريخها قبل عام ٨٨٠هـ ، كما ورد صراحة عن تصحيح النسخة الأولى من كتاب الفوائد أي المطول ، ص١٦٧ من المختصر .

١٩ – القصيدة التائية في القياس الأصلي : تاريخها قبل عام ٨٩٥هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ص٢١٩ .

٢٠ – قصيدة رائية الغلق : تاريخها قبل عام ٨٩٥هـ ، لذكرها في البيت ١٥٦ من الذهبية .

٢١ – قصيدة رائية الكل : تاريخها قبل ٨٩٥هـ ، لذكرها في البيت ١٥٣ من الذهبية .

٢٢ – القصيدة العينية في قياس المسافات : تاريخها قبل ٨٩٥هـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ص٢٨٥ .

٢٣ – القصيدة اللامية في قياس السلبار والواقع : تاريخها قبل عام ٩٨٥هـ لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ص١١٩ .

٢٤ – قصيدة ميمية العبرات : تاريخها قبل عام ٩٨٥هـ ، لذكرها في البيت ١٦١ من الذهبية .

٢٥ – القصيدة النونية الصغيرة : تاريخها قبل عام ٩٨٥هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ص١٠٨ ، ١٢٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٩ .

٢٦ – القصيدة النونية الكبرى أو قصيدة الخيل : تاريخها قبل عام ٩٨٥هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ص٤٨ ، ١٠٤ ، ٢١٢ .

٢٧ – القصيدة الميمية في قياس السماكين : تاريخها قبل عام ٩٨٥هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ص٧٨ .

٢٨ – قصيدة الترفا – دالية – تاريخها قبل عام ٩٨٥هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ص١٦١ ، ١٦٢ .

٢٩ – قصيدة قياس الجاه (نونية) : تاريخها قبل عام ٩٨٥هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ص١١٥ .

٣٠ – قصيدة لامية في السبعة السيارة وساعات الليل والنهار : تاريخها قبل ٨٩٥هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ص٨٤ .

٣١ – ضريبة الضرائب ، النسخة الأولى : تاريخها قبل عام ٨٩٥هـ ، لذكرها في البيت ١٥٩ من الذهبية .

٣٢ – شرح الذهبية : تاريخه قبل عام ٨٩٥هـ ، لذكره في مختصر كتاب الفوائد ص١٨ ، ٦٦ ، ١٤١ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ .

أعمال المرحلة الثالثة : ٨٩٥هـ/١٤٨٩م - ٩٠٦هـ/١٥٠٠م

وتضمنت أعمال المرحلة الثالثة ما يلي :

١ - أرجوزة قسمة الجمة على أنجم بنات نعش : تاريخها ٩٠٠هـ/١٤٩٤م .

٢ - وقصيدة ضريبة الضرائب : وتاريخها ٩٠٠هـ/١٤٩٤م .

٣ - والقصيدة المخمسة : وتاريخها ٩٠٦هـ/١٥٠٠م .

٤ - وأرجوزة النتخات لبر الهند وبر العرب من جاه اثنتي عشرة إلى جاه اصبع : وتاريخها بين عام ٨٩٥هـ وعام ٩٠٦هـ ، لذكرها مختصرَ كتاب الفوائد في بيتها ٢٥٢ .

٥ - القصيدة البليغة في قياس السهيل والرامح : وتاريخها قبل عام ٩٠٠هـ لذكرها في البيت ١٤٢ من ضريبة الضرائب النسخة الثانية .

أعمال إضافية

بقيت ستة أعمال أخرى لم نجد قرينة تسمح بادخالها في إحدى المراحل السابقة ، هي :

١ - الأرجوزة الملعقية .

٢ - أرجوزة بر العرب .

٣ - أرجوزة منازل القمر .

٤ - القصيدة التائية .

٥ - الفصول : نثر .

٦ - الملّ : نثر .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

خلاصة القول ان ابن ماجد كتب ستة وأربعين عملاً ، سماها بأسمائها في مؤلفاته وصلنا منها عملان نثريان من أصل خمسة : هما مختصر كتاب الفوائد ، والفصول ، وأربع وعشرون قصيدة وأرجوزة من أصل ٤١ ، عدد أبياتها ٤٦٠٣ بيت ، ومخمسة .

وقد حقّقناها كلها وحللناها وطُبِعَتْ بكاملها . فيمكن الرجوع إليها للحصول على مزيد من التفاصيل . لكن ما هو مضمونها ؟

ثالثاً – مضمون أعمال ابن ماجد

ضمّن أحمد بن ماجد أعماله قواعد علم البحر أو مبادئ الملاحة الفلكية . واعتبر أن قواعده ومبادئه جديدة ، تخالف ما سار عليه البحارة في الملاحة القديمة والملاحة القديمة المصلحة . واشترط على معلم الملاحة الجديدة الاطلاع على معارف متنوعة وحفظها وتطبيقها لاجراء السفينة من بندر الإبحار إلى مرفأ الإنزال وايصالها بأمان وسلام . واتبع في عرض ملاحته الجديدة نهجاً خاصاً في غاية الوضوح ، متى نُظِر إليه في مجمل تآليفه .

١ – نهج ابن ماجد في عرض ملاحته الجديدة :

ففي سنة ٨٦٦هـ ، قرّر ابن ماجد أن يصنّف ملاحته الفلكية نظماً ، لاقتناعه بان الشعر ديوان العرب ، ولأن ايقاع وزنه يسهّل حفظ مبادئ علم البحر . فنظم أرجوزته « حاوية الاختصار في أصول علم البحار » في ١٠٨٢ بيت ، وقسمها إلى مقدمة وأحد عشر فصلاً حوى كل فصل منها ناحية معيّنة من علمه الجديد . لكنه أدرك بعد مرور خمس عشرة سنة (٨٨٠هـ) أن حاويته مختصرة جداً ومكثّفة ، وبحاجة إلى شرح شامل نثراً ، وإلى شروح جزئية خاصة في أراجيز وقصائد . فشرع ينثر وينظم لايضاح النقاط الغامضة أو لتفصيل الأفكار المعمّمة كثيراً . ومن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هنا أتت وفرة نظمه ، ومن هنا جاء التوسع في شرح شعره بالنثر في مطوّل كتاب الفوائد ثم في مختصره . لذلك تعتبر الحاوية كتاب ملاحة ابن ماجد الأساسي ، وما تبقى من أعماله ايضاحات لها وتعليقات عليها .

٢ ـ الملاحة القديمة في تصوّر ابن ماجد :

ولا يعني هذا النهج أن ابن ماجد رفض القديم دفعة واحدة ، وخطأ أعمال الأوائل جملة وتفصيلاً . وكل ما هنالك أن له بعض المآخذ عليها ، حتى بعد إصلاحها في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، على يد الليوث الثلاثة : محمد بن شاذان ، وسهل بن أبان وليث بن كهلان . من ذلك أن رهمانج هؤلاء الثلاثة كتاب تجميع نقلي ممتلئ بالسقطات يضاف إليه ويحذف منه بلا رقيب ، وان مرتكزاتهم الجغرافية تعتمد على بنادر ومدن اندرست ، وان ملاحتهم شاطئية لا تهتدي بالنجوم ، ولا تجرؤ على الإبحار في الباحة أي عرض البحر بلغتنا ، على نقيضِ ملاحته الجديدة .

٣ ـ أوجه الجدة في ملاحة ابن ماجد :

وعدَّ ابن ماجد نفسه ، بحقّ ، أول من كتب عن الملاحة الفلكية . فقال في البيت ٤٤ من قصيدته البليغة :

كشفتُ لعلم ما سُبقت لمثله وكل فتى يجني الذي هو زارع

وقال في البيت ١٣٧ من ضريبة الضرائب :

فخذ من علوم لا سمعتَ ولا ترى لذا العلم من غيري وذي لذةُ العمر

وجاء في البيتين ٦ و٧ من الفصل الأول من الحاوية :

يا أيها الطالب علم اليمِّ إليك نظماً يا له من نظمِ
في العلم والهيئة والحساب وما هو استنبط للصواب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فالعلم علم البحر . والهيئة علم الفلك . والحساب حساب النيروز والأنواء والمنازل وحساب الروم أو السنة البيزنطية . وبذا تكون ملاحه ابن ماجد قطعاً فلكية جديدة .

وتتجلى الجدة في التنظيم والتجريب والخبرة .

فالتنظيم واضح في عرض مبادئ الملاحة في أحد عشر فصلاً في الحاوية ، وفي تعيين موضوع كل فصل . والتنسيق جلي أيضاً في الأفكار الفرعية التي تشرح موضوع الفصل . وهذه الطريقة متبعة في سائر الأراجيز والقصائد : فكلها لها استهلال وخاتمة ومتن .

والتجريب وجه الجدة الثاني في ملاحة ابن ماجد الفلكية ، طبّقه في الحاوية حيث جاء في البيت ٤٠ من الفصل الثالث منها :

فهـــذه حـــاويـــة المجـــرّب لا شكّ فيهـا عنـد كل العـرب

وطبقه طول حياته ، إذ قال في البيت ١٢٣ من الذهبية :

وخذ مني العلم الذي قد سمعته وجرّب فأيامي مضت في التجارب

وأصرّ على تقيّد المعالمة بتطبيقه ، فقال في البيت ٢٢ من الفصل الأول من الحاوية :

لا تعتـــبر إلا بمـــا جـــرّبتَـــه أو أن يكـون الوصف قد حققتَـه

ويستلزم التجريب تكرار التجارب مدة زمنية تستغرق سنين طويلة لتثبت صحة التجربة .

والخبرة وجـه الجدة الثـالث الذي يلحّ عليـه ابن ماجد حتى إنه يستشهد دوماً بآراء أهلها ، ويقول :

أســدّ مـا في عـلم أهـل البحـر هذا الحســـاب عنـد أهـل الخُبْر

ولا يبقى ابن مـاجـد في إطـار التعميم ، بل يحدد بدقة المعـارف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأساسية الواجب اكتسابها لكل من يريد أن يصبح معلماً ماهراً .

٤ ـ المعارف الأساسية في ملاحة ابن ماجد الفلكية :

بالفعل تقتضي الملاحة البحرية ، سواء جرت مقابل الساحل أو في الباحة ، التحلي بمعارف واسعة تقنية وجغرافية وفلكية دقيقة ، نجملها فيما يلي :

فالمعارف التقنية تتعلق بالسفينة العربية وأجزائها لا سيما شرائها وسكانها وطاقمها ، وآلاتها ، بخاصة حقة المجرى وآلة القياس (الخشبة أو الحطبة والاسطرلاب) وحجر المغناطيس ، والبلد ، والفانوس ، ويشترط بالمعلم الماهر أن يون ضليعاً فيها جميعاً .

وتشتمل المعارف الجغرافية على معرفة الرياح الموسمية والمحلية واتجاهاتها ، ومعرفة مواقع السواحل والمدن والبنادر والجزر والاشارات التي تسمح بتمييز الظاهرات الجغرافية البحرية .

وتتضمن المعارف الفلكية الالمام بالأفلاك وبالثوابت وبدوران الكواكب حول محور الأفلاك ، ومعرفة منازل القمر وطلوعها وغروبها ، والأخنان ، ونجوم الملاحة العربية البالغ عددها ١٢٠ نجماً ، ومواسم السفر محسوبة بالسنة الشمسية لا سيما النيروز .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net